الكعبة، فقالت له حِين نظرت إلى وجهه: أيْنَ تذهب يَا عَبْدَ اللهِ؟ قال: مَعَ أَبِي، قَالَتْ: لَكَ مثلُ الإبل التي نُحِرَتْ عنك وَقَعْ عليَّ الآن!! قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خِلافه ولا فراقه.

عبد المطلب يزوج عبد الله آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ، وهو يومئذٍ سيدُ بني زهرة نسباً وشَرَفاً، فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب، وهي يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ في قريش نَسَباً ومَوْضِعاً، وهي لِبَرَّةَ بنتِ عبد الْعُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر. وبَرَّةُ لأم حبيب بنت أسَدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصَي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ؛ وأمُّ حبيب لَبَرَّةَ بنتِ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْرٍ.

آمنة بنت وهب تحمل برسول الله ـ ﷺ ـ

فزعموا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا حِين أُمْلِكَهَا مَكَانَهُ فَوَقَعَ عليها، فَحَمَلِت برسول الله ـ ﷺ ـ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا، فَأَتَى الْمَرْأَةَ الَّتِي عَرَضَتْ عليه مَا عَرَضَتْ، فَقَالَ لَهَا: مَالِك لاَ تعرضين عليَّ اليوم ما كنتَ عرضت عليَّ بالأمس؟ قالت له: فَارَقَكَ النورُ الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليومَ حاجةٌ، وَقَدْ كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْ أَخِيهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَل ـ وكان تَنَصَّر وَاتَّبَعَ الْكُتُبَ ـ أنه كَائِنٌ في هذه الأمة نبيٌّ [١١١].

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بنُ يَسَار أنه حُدِّث، أَنَّ عَبْدَ اللهِ إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بِنْتَ وَهْبٍ، وقد عملَ في طينٍ لَهُ، وبه آثارٌ مِنَ الطِّينِ، فَدَعَاهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَتْ بِهِ مِن أثر الطين، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا فَتَوَضَّأَ وغَسَل مَا كَانَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الطِّينِ، ثُمَّ خَرَجَ عامداً إلى آمنة، فمرَّ بها، فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، فَأَبَى عَلَيْهَا، وَعَمِدَ إِلَى آمنة فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَأَصَابَهَا، فَحَمَلَتْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ بامرأته تلك، فَقَالَ لَها: هَلْ لَكِ؟ قَالَتْ: لاَ، مَرَرْتَ بي وبين عينيك غُرَّةٌ بَيْضَاءُ، فدَعَوْتُكَ فأبيت عَلَيَّ، ودخلتَ على آمنة فذهَبَتْ بها [١١٢].

---

[١١١] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) من طريق ابن إسحاق. وله طرق أخرى عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

[١١٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٥) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) أخبرنا محمد =

قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تِلْكَ كَانَتْ تحدِّثُ أنه مَرَّ بها وبَيْنَ عينيه غُرَّةٌ مثلُ غُرَّةِ الفَرَسِ، قالت: فَدَعَوْتُهُ رَجَاء أَنْ تكون تلك بي، فأبى عليَّ، ودَخَلَ عَلَى آمنة، فَأَصَابَهَا، فحملت بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْسَطَ قومه نَسَباً، وأعظمهم شرَفاً، من قِبَلِ أبيه وأمه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويزعمونَ ـ فيما يتحدث النَّاسُ، واللهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ آمِنَةُ ابنة وَهْبٍ أُمَّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أنَّها أُتِيَتْ ـ حين حملت برسول الله ﷺ ـ فقيل لها: إنك قد حملت بسيِّد هذه الأُمَّةِ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الأَرْض فَقُولِي: أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدْ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ، ثم سَمِّه محمداً. ورأَتْ ـ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ ـ أنه خَرَجَ منها نورٌ رَأَتْ بِه قُصورَ «بُصرى»[1] مِنْ أَرْضِ «الشام».

وفاة عبد الله أبي النبي ﷺ

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسولِ الله ـ ﷺ ـ أَنْ هَلَكَ وأُمُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَامِلٌ بِهِ[2] [١١٣].

= ابن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار به. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٤٤) حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبيه به ولهذا الكلام شاهد عن ابن عباس.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٧) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس بنحو كلام إسحاق بن يسار. وله طريق آخر عن ابن عباس. أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٧٤). والخرائطي كما في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٨) من طريق مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به. وللحديث طرق أخرى وشواهد لكنها ضعيفة ينظر لها «الطبقات الكبرى» (١/ ٧٦ ـ ٧٨).

[١١٣] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١١١) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٦) من طريق محمد ابن =

---

(١) بُصرى ـ بباء موحدة مضمومة فصاد مهملة ساكنة فألف مقصورة ـ والمراد بها هنا بلد بالشام من أعمال دمشق. قال في المسْكة الفائحة: وفي تخصيص بصرى لطيفة، وهي أنها أول موضع من بلاد الشام دخلها ذلك النور المحمدي، وكذلك هي أول ما افتتح من بلاد الشام.
ينظر: السبل (١/ ٣٤١).

(٢) هَلَكَ وأم رسول الله ﷺ حامل به يعني: عبد الله والد رسول الله ﷺ، كذا قال ابن إسحاق.
وهذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري، وصححه الذهبي وقال ابن كثير إنه المشهور. وقال ابن الجرزي: إنه الذي عليه معظم أهل السِّير، ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي عن قيس بن مخرمة رضي الله تعالى عنه.

وِلادَةُ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زمان ولادة النبي ﷺ

قال: حدثنا أبو محمدٍ عبدُ الملِك بن هشام (٢٩/أ)، قال: حدثنا زيادُ بنُ عبد الله البَكَّائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: وُلد رسول الله - ﷺ - يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل، عام الفيل[1] [١١٤].

= إسحاق. أما أخبار آمنة بنت وهب أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى فله شواهد من حديث العرباض بن سارية.

- حديث العرباض بن سارية

أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧ - ١٢٨) والحاكم (٢/ ٦٠٠) وابن حبان (٢٠٩٣) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٢ - ٢٥٣). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[١١٤] أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٣) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٤) وفي «شعب الإيمان» (٢/ ١٣٥) رقم (١٣٨٧) كلهم من طريق سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به. وأخرجه ابن سعد في =

= وذكر الدولابي وغيره أنه توفي ورسول الله ﷺ في المهد قيل: ابن شهرين، وقيل: أكثر من ذلك.

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة رحمهما الله تعالى قالا: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار. فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلّفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته. وإخوته وأخواته وجداً شديداً. ورسول الله ﷺ حَمْل، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: وهذا أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنه. وقال الحافظ العلائي وابن حجر إن عمره كان يوم توفي ثماني عشرة سنة قال الواقدي: ولم يتزوج عبد الله قط غير آمنة. وآمنة لم تتزوج قط غير عبد الله.

(١) قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور. وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري: وهو الذي لا يشك فيه أحد من العلماء. وبالغ خليفة بن خياط وابن الجزار وابن دحية وابن الجوزي وابن القيّم فنقلوا فيه الإجماع.

وروى البيهقي والحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي في مختصره، وصححه في تاريخه الكبير عن يحيى بن معين، عن حجاج بن محمد، عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل.

قال الحافظ في شرح الدرر: والمحفوظ لفظ العام. وقيل: يطلق اليوم ويراد به مطلق الوقت، كما يقال يوم الفتح، ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم فيكون أخص من الأول وبذلك صرح ابن حبان في تاريخه فإنه قال: ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الأبابيل على أصحاب =

قال ابن إسحاق: وحدثني المُطَّلِبُ بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة، عن أبيه، عن جده قال: وُلِدْتُ أنا وَرسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ، فَنَحْنُ لِدَتَانِ[1] [١١٥].

= «الطبقات الكبرى» (١/ ٨٠) عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول. وإسناده ضعيف جدًا الواقدي شيخ ابن سعد متروك.

وأخرج ابن سعد أيضاً (٢/ ٨٠ ـ ٨١) عن الواقدي قال: كان أبو معشر نجيح المدني يقول: ولد رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. وإسناده ضعيف جدًا كسابقه. واختلف في يوم ميلاده ﷺ اختلافاً كثيراً وعلى أقاويل متعددة ذكرها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

[١١٥] أخرجه أحمد (٤/ ٢١٥) والترمذي (٥/ ٥٨٩) كتاب المناقب: باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ حديث (٣٦١٩) والحاكم (٢/ ٦٠٣) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (١/ ٧٦) وخليفة بن خياط في «تاريخه» (ص ٢٦) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٤٣) رقم (٨٧٣) كلهم من طريق محمد بن إسحاق بهذا الإسناد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق محمد بن إسحاق وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي قلت: قد وهما في ذلك كما سيأتي بيانه فالمطلب بن عبد الله بن قيس لم يرو عنه غير محمد بن إسحاق فهو مجهول.
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٥٤) مقبول: يعني عند المتابعة وإلا فهو لين كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة التقريب. وأيضاً المطلب لم يرو له إلا الترمذي فقط وروى له هذا الحديث الواحد. وأيضاً محمد بن إسحاق استشهد به البخاري في الصحيح وروى له مسلم في المتابعات وهو ليس على شرطهما أيضاً. ومنه تعلم وهم الحاكم في حكمه على هذا الحديث ومتابعة الذهبي له على هذا الوهم. ومنه أيضاً تعلم وهم الترمذي في حكمه على هذا الحديث. =

= الفيل. قال: ثم وجدت الحديث عن ابن مسعود عن يحيى بن معين بسنده المذكور قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل يعني عام الفيل.

ينظر السبل (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(١) ويروى: فنحن لدان، والمشهور فيه لدتان بالتاء، يقال فلان لدة فلان، إذا ولد معه في وقت واحد. وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم الكناني ثم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفت بي أمي على خذق الفيل أخضر محيلا.
وعلى هذا فقيل بعد الفيل بخمسين يوماً. قال ابن كثير: وهو أشهر. وصححه المسعودي والسهيلي. وزاد أنه الأشهر والأكثر وقيل بزيادة خمس.
وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله تعالى أن قدوم أصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقد قال ذلك غيره. وزاد يوم الأحد. وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.
وروى ابنُ سعد وابن عساكر عن أبي جعفر الباقر رحمه الله تعالى قال: كان قدوم أصحاب الفيل في النصف من المحرم ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة. وصحح الحافظ الدمياطي هذا القول. وقيل بأربعين يوماً. وقيل بشهر وستة أيام. وقيل بعشر سنين. وقيل بثلاثين عاماً. وقيل بأربعين عاماً. وقيل بسبعين عاماً.

قال ابن إسحاق: وحدثني صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف، عن يَحْيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد[1] بن زُرَارة الأَنصاري، قال: حدَّثَني مَنْ شئت من رجال قومي، عن حَسَّان بْنِ ثَابِتٍ، قال: واللهِ إِنِّي لَغُلاَمٌ يَفَعَة[2] ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، أو ثَمَانٍ، أَعْقِلُ كلَّ مَا سَمِعْت؛ إِذْ سَمِعْتُ يَهُودِيًّا يَصْرخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عَلَى أُطُمِهِ[3] بِيَثْرِبَ: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَالَكَ!! قَالَ: طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِه[4] [١١٦].

= وللحديث شاهد من حديث ابن عباس

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٥) من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ولد النبي ﷺ عام الفيل. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٨١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٥ ـ ٧٦) من طريق يحيى بن معين أخبرنا حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

[١١٦] إسناده ضعيف =

---

(١) ابن سعد بن زرارة، كذا وقع والصواب فيه: أسعد بن زرارة.

(٢) غلام يفعة: معناه قوي قد طال قده، مأخوذ من اليفاع، وهو العالي من الأرض. فأما الغلام اليافع فهو الذي راهق الحلم.

(٣) الأُطُمُ: الحصن، ومن قال على أطمة فإنه أنث على معنى البقعة.

(٤) الصواب: أنه ﷺ ولد يوم الاثنين. روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه. أو قال أنزل علي فيه**».

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين واستنبىء يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين.

وفي بعض الطرق عند ابن عساكر: وأنزلت سورة المائدة يوم الإثنين: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكانت وقعة بدر يوم الاثنين.

قال ابن عساكر: المحفوظ أن وقعة بدر ونزول: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يوم الجمعة.

وروى الزبير بن بكّار وابن عساكر عن معروف بن خَرَّبُوذ رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين حين طلع الفجر.

وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في المورد: الصواب أنه ﷺ ولد في النهار، وهو الذي ذكره أهل السير. وحديث أبي قتادة مصرح به.

وروى الأربعة عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: ولد رسول الله ﷺ عند إبهار النهار، وجزم به ابن دحية، وصححه الزركشي رحمه الله تعالى في شرح البردة ولبعضهم في ذلك [من الكامل]:

يَا سَاعَةً فَتَحَ الهُدَى أَزْفَادَهَا ... لُطْفاً وَقَدْ مَنَحَ الجَزَا إِسْعَادَهَا

لاَحَتْ بِشَهْرِ ربيعِ الزاكي الذي ... فَاقَ الشُّهُورَ جَلاَلَةً إِذْ سَادَهَا

حيثُ النبوة أشرقتْ بمآثرٍ ... كالشُّهب لا يُحصى الورَى تَعْدادَها

حَيْثُ الأَمَانَةُ والرِّسَالَةُ قَدْ بَدتْ ... يُغْلي لِمَكَّةَ غَوْرَها ونِجَادَها

ينظر: السبل (١/ ٣٣٣).

قال محمد بن إسحاق: فَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانِ بن ثَابِتٍ، فَقُلْتُ: ابْنَ كَمْ كَانَ حَسَّانُ بن ثَابِتٍ مَقْدَمَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدينةَ؟ فقال: ابْنَ سِتِّينَ، وقدمها رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، فسمع حَسَّانُ مَا سَمِعَ وهو ابنُ سَبْعِ سِنِين [١١٧].

ولادته وتسميته ﷺ

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَتْ إِلَى جدِّه عبْد المُطَّلِبِ أَنَّهُ قد وُلِدَ لَكَ غُلامٌ فأْتِهِ فانْظُرْ إليه، فَأَتَاهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وحَدَّثَتْهُ بمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وما قِيلَ لَهَا فِيه، وَمَا أُمِرَت بِهِ أَنْ تُسَمِّيه، فيزعمون أن عَبْدَ المُطَّلِبِ أَخَذَهُ فَدَخَلَ بِه الكَعْبَةَ، فَقَامَ يَدْعُو اللهَ وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا؛ والْتَمَس لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الرُّضَعَاءَ [١١٨].

قال ابن هشام: المَرَاضِع، وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢].

رضاعه وسبب مرضعته وزوجها

قال ابن إسحاق: فَٱسْتَرْضَعَ لَهُ امرأةً من سَعْد بن بكر يُقَال لها حَليمة ابنة أبي ذُؤَيْبٍ[(١)]، وأبو ذؤيب: عبدُ الله بن الحرث بن شِجْنَة بن جَابِرِ بن رِزَامِ بن نَاصِرَةَ بن قُصَيَّةَ[(٢)] بنِ نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْرِ بن هَوَازِنَ بن مَنْصورِ بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْسِ بن

= لجهالة شيوخ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٨٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٩ ـ ١١٠) من طريق محمد بن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) من طريق ابن إسحاق.

[١١٧] ينظر «دلائل النبوة» للبيهقي (١/ ١١٠). وذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥١٣) عن ابن إسحاق.

[١١٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١١١ ـ ١١٢) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٢٤) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) وقال ابن الكلبي: اسم أبي ذؤيب الحارث بن عبد الله بن سجنة. قال البلاذري: وهو الثبت. قال النووي رحمه الله تعالى: كنية حليمة أم كبشة اسم أبيه الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى. ينظر: السبل (١/ ٣٧٨).

(٢) قال الشيخ أبو ذر في نسب والد حليمة: بن قصيَّة بن نصر، يروى بالفاء والقاف وصوابه بالفاء، وهو في الأصل النواة من التمر.

عَيْلاَنِ، وَاسْمُ أَبيه الَّذِي أَرْضَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحرثُ بن عبد الْعُزَّى بْن رِفَاعَةَ بْنِ مَلاَّن، بنِ نَاصِرَةَ بن فُصَيَّة بْنِ نَصْرِ بن سَعْدِ بْن بكرِ بْنِ هَوَازَن.

قال ابن هشام: ويقال: هِلاَلُ بْنُ نَاصِرَة.

إخوة النبي ﷺ من الرضاعة

قال ابن إسحاق: وإِخْوَتُهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ: عبدُ الله بن الحَرِثِ، وأُنَيْسَةُ بِنْتُ الحَرِثِ، وحِذَامَةُ[1] بِنْتُ الحَرِثِ، وهي الشَّيْماء، غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى اسْمَها فلا تُعْرَفُ في قومِها إلاَّ بِهِ، وهم لحلِيمةَ بنتِ أبي ذُؤَيْب عبدِ الله بن الحرث أمِّ رسول الله ـ ﷺ ـ، ويذكرون أنَّ الشَّيْمَاء كَانَتْ تَحْضُنه مَعَ أُمِّهِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ [١١٩].

حليمة السعدية تحدث عن أخذها رسول الله ـ ﷺ ـ

قال ابن إسحاق: وحدثني جَهْمَ مَوْلَى الحَرِثِ بْنِ حَاطِبِ الْجُمَحِيِّ، عن عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرِ بن أبي طَالِبٍ، أو عمن حدثه عنه، قال: كَانَتْ حليمةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّةُ (٢٩/ ب) أُمُّ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أرضعته تُحَدِّث أنها خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا وابنٍ لها صغيرٍ تُرْضعه[2]؛ في نِسْوةٍ من بني سعد بن بكر تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء، قالت:

---

[١١٩] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣١ ـ ١٣٢) من طريق ابن إسحاق. وينظر «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٣).

---

(١) حِذَامَةُ ابنة الحارث: هكذا روي بخاء معجمة مكسورة وذال معجمة، وروي أيضاً: جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة، وحذافة بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء، قيَّدها أبو عمر النمريُّ وهو الصَّواب.

(٢) قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى: الظاهر أن حليمة لم تدرك البعثة.
قال الحافظ في شرح الدُّرر: وهو غير مسلم، فقد روى أبو يعلى والطبراني وابن حبَّان، عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: حدثتني حليمة. وعبد الله إنما ولد بعد البعثة بمدة، بل لم يتهيأ له السماع من حليمة إلا بعد الهجرة بسبع سنين أو أكثر، لأنه قدم من الحبشة مع أبيه وهو صغير ليلة الغزوة في خيبر سنة سبع، وحليمة إنما قدمت في هذه المدة أو بعدها بسنة في الجعرانة.
ومستند ابن كثير كثير الاختلاف على ابن إسحاق في حديث حدَّثه عبد الله، فمنهم من قال: عبد الله بن جعفر، عن حليمة. ومنهم من قال: عن عبد الله بن جعفر حدثتني حليمة.
قلت: ليس هذا مستنده إنما مستنده قول من قال: عن عبد الله بن جعفر حدِّثت عن حليمة. والله تعالى أعلم.
قال الحافظ: فرأى ابن كثير أن هذه علة تمنع من الجزم بإدراك عبد الله بن جعفر لها، وليست هذه في التحقيق علة، فإن الشواهد التي تدل على إدراك عبد الله بن جعفر لها كثيرة وأسانيدها جيدة.
وروى ابن سعد بسند رجاله رجال الصحيح، عن محمد بن المنكدر ـ مرسلاً ـ قال: استأذنت امرأة =

= على النبي ﷺ. قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال: أمي أمي! وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه انتهى.

قلت: ويجاب عن رواية: «حُدّثت عن حليمة» أنه سمع منها بعض القصة وبعضها عمن سمع منها أو أنه سمع ممن روى عنها. ثم سمع منها. والله تعالى أعلم.

وقد ألف الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى جزءاً في إيمانها وهذه خلاصته مع زيادة:

روى البخاري في الأدب وأبو داود والطبراني وابن حبان في صحيحه عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة ـ وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور ـ إذ أقبلت امرأة حتى دنت إلى رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت: من هذه؟ قالوا هذه أمه ﷺ التي أرضعته.

وقول الذهبي: يجوز أن تكون هذه ثويبة مردود بما ثبت أنها توفيت سنة سبع من الهجرة.

ثم ذكر الحافظ مغلطاي حديث الرضاع ثم قال: فإن قيل: ما وجه الاستدلال من هذين الحديثين؟ قلنا: من وجوه: الأول: دفع شبهة من زعم أن القادمة في حنين أخته ﷺ لأنه يستبعد أن تكون عمُرت إلى ذلك الحين تخرصاً من غير يقين، لأن رواية هذين الصحابيين عنها مشافهة مع صغرهما يقرب ذلك الاستبعاد.

قلت: قال الحافظ بعد أن أورد عدة آثار في مجيء أمه ﷺ من الرضاعة إليه ثم قال: ففي تعدد الطرق ما يقتضي أن لها أصلاً أصيلاً، وفي اتفاق الطرق على أنها أمه رد على من زعم أن التي قدمت عليه أخته، وزاعم ذلك هو الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم.

وقد ذكرها في الصحابة جماعة. قال أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه: ذكر ما انتهى إلينا من سند النساء اللاتي روين عن النبي ﷺ ثم قال: باب الحاء: حليمة بنت أبي ذؤيب وقال الحافظ أبو محمد المنذري في مختصر سنن أبي داود: حليمة أمه ﷺ أسلمت وجاءت إليه وروت عنه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى في الحدائق: قدمت حليمة ابنة الحارث على النبي ﷺ بعد ما تزوج خديجة فشكت إليه جدب البلاد فكلم خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً، ثم قدمت عليه بعد النبوة فأسلمت وبايعت وأسلم زوجها الحارث.

وقال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: لما وردت حليمة السعدية على رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي قدمت على أبي بكر فصنع لها مثل ذلك.

قلت: هذا كلام القاضي في الشفاء وروى ابن سعد عن عمر بن سعد مرسلاً قال: جاءت ظئر النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقضى حاجتها ثم جاءت أبا بكر ففعل ذلك، ثم جاءت عمر ففعل ذلك والله تعالى أعلم.

الوجه الثاني: أن لفظ الأم لا ينطلق عرفاً ولغة إلا على الأم الحقيقية، ولم نر من يسمي الأخت أما، على أنه قد جاء ما يدفع هذا لو قيل به.

وروى أبو داود بسند صحيح عن عمرو بن السائب رحمه الله تعالى أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست إليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ وأجلسه بين يديه.

وذكر أبو عمر عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى عن عطاء بن يسار قال: جاءت حليمة ابنة عبد الله =

شَهْبَاءُ[1] لم تُبْقِ لَنَا شَيْئاً، قالت: فخرجتُ على أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ[2] مَعَنا شَارِفٌ[3] لنا واللهِ ما تَبِضُّ[4] بِقَطْرَةٍ، وما نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ من صَبِيِّنَا الذي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِه مِنَ الجُوعِ، ما في ثديي ما يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا ما يُغَذِّيه[5] (قال ابن هشام: ويقال: يُغَذِّيه) ولكنا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ والْفَرَجَ، فخرجتُ عَلَي أَتَانِي تِلْكَ، فَلَقَدْ أَدَمَّتْ بالرَّكْبِ[6] حتَّى شَقَّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجَفاً[7]، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء، فَمَا مِنَّا امرأةٌ إلاَّ وقَدْ عُرِضَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ، إِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ، وذَلِكَ أَنَّا إِنَّما كنا نرجو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فكنا نقول: يتيم!! وَمَا عَسَى أَن تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ؟ فكنَّا نكرهه لذلك، فما بقيت

= أم النبي ﷺ، فقام لها النبي ﷺ، وبسط لها رداءه فجلست عليه. وهو مرسل جيد الإسناد.

الوجه الثالث: ليس لقائل أن يقول: سلمنا أن القادمة أمه ﷺ، فما الدليل على إسلامها حينئذ؟ ولعل الدليل من قول من قال أسلمت وبايعت. وقول من قال: روت عن النبي ﷺ. وروي عنها.

قال الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى: ورأيت ليلة الأحد ثاني وعشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في المنام عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وسألته عنها فقال مجيباً: رضي الله تعالى عنها. ثم قال الحافظ مغلطاي: أنشدنا الإمام العالم العلامة أبو الحسن علي بن جابر الهاشمي رحمه الله تعالى لنفسه [من الكامل]:

أَمَّا حَلِيمَةُ مُرْضِعُ الـ ـمُخْتَارِ ... فَبِهِ غَدَتْ تَزْهَى على الأَخْيَارِ

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ دَارُ مُقَامِهَا ... أَكْرِمْ بِهَا يَا صَاحِبِي مِنْ دَارِ

قال الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى ورضي عنه: ومما قلته فيها من الأبيات رضي الله تعالى ونفعنا بها [من الكامل]:

أَضْحَتْ حَلِيمَةُ تَزْدَهِي بِمَفَاخِرٍ ... مَا نَالَهَا فِي عَصْرِهَا إِنْسَانِ

مِنْهَا الكَفَالَةُ وَالرِّضَاعُ وَصُحْبَةٌ ... وَالْغَايَةُ القُصْوَى رِضَا الرَّحْمنِ

ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤).

(١) سنة شهباء: يعني سنة الجدب والقحط، لأن الأرض تكون فيها بيضاء.

(٢) الأتان: الأنثى من الحمر، والقمراء: التي في لونها بياض.

(٣) الشارف: الناقة المسنَّة.

(٤) قال الخُشني: تَبِضُّ ـ بالضاد المعجمة معناه: ما تنشغ ولا ترشح، ومن رواه: ما تبص، بالصاد المهملة، فمعناه: لا يبرق عليها أثر لبن، من البصيص وهو البريق واللمعان.

(٥) وما في شارفنا ما يغذيه، كذا وقع من لفظ الغذاء، ومن رواه: «ما يُعزِّيه» فمعناه: ما يقنعه ولا يمنعه من البكاء. يقال: أعزيت الرجل عن الشيء إذا منعته منه. وقال ابن هشام: يغذيه، هذا من لفظ الغذاء، ومن رواه يعذيه بالعين المهملة، فمعناه: ما يشبعه بعض الشبع، مأخوذ من النبات العذي، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بعروقه من الأرض دون أن يسقى.

(٦) أدمت بالركب: أي أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، مأخوذ من الشيء الدائم، ومن رواه أذمَّت، فمعناه: تأخرت بالركب، أي تأخر الركب بسببها، والضمير الذي في أذمَّت يرجع إلى الأتان.

(٧) العجف: الهزال.

امرأة قدِمَت معي إلا أخذتْ رَضيعاً غيري، فلما أجْمَعْنَا الإنطلاقَ قُلْتُ لِصَاحِبي: واللهِ إني لأكره أنْ أرجع من بين صَوَاحبي ولم آخذ رضِيعاً، واللهِ لأذْهَبَنَّ إلَى ذلك اليتيم فَلآخُذَنَّه، قال: لاَ عَلَيْكِ أنْ تَفْعلِي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بَرَكَةً، قالت: فذهبْتُ إليه فأخذْتُه، وما حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إلاَّ أني لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، قالت: فلما أخذْتُه رجعتُ به إلَى رَحْلِي، فلما وضعتُهُ في حِجْرِي أقبَلَ عَلَيه ثَدْيَايَ بما شاء مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وشَرِبَ مَعَهُ أخُوه حتّى رَوِيَ، ثُمَّ نَامَا، وما كُنَّا نَنَامُ مَعهُ قبل ذلك، وقام زَوْجِي إلَى شَارِفِنَا تلك فإذا إنَّها لَحَافِلٌ[1] فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ، وشرِبتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعاً، فبتنا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، قالت: يقول صاحبي حِينَ أصْبَحْنَا: تَعْلَمِي واللهِ يا حليمةُ لقد أخذت نَسَمَةً مُبَارَكَةً، قالت: فقلت: واللهِ إنِّي لأرجو ذَلِكَ، قالت: ثُمَّ خَرَجْنَا ورَكِبْتُ أتاني وحملتُهُ عليها مَعِي، فواللهِ لَقَطَعْتُ بالرَّكْبِ، ما يَقْدر عليها شَيءٌ مِنْ حُمُرِهم، حَتَّى إنَّ صَواحبي لَيَقُلْنَ لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْبٍ، ويحكِ!! ارْبَعِي علينا[2]، أليست هذه أتانَكِ التي كُنْتِ خَرَجْتِ عَلَيْهَا؟ فأقول لهُنَّ: بلى واللهِ إنها لَهِيَ هِيَ، فيقلن: واللهِ إنَّ لها لَشَأناً، قالت: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا من بلاد بني سَعْدٍ، وما أعلمُ أرضاً من أرض الله أجْدَبَ منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قدِمنا به معنا شِباعاً لُبَناً[3]، فنحلبُ ونشربُ، وما يحلب إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يجدها في ضَرْع، حتى كان الحاضرون[4] من قومنا يقولون لرعيانهم: وَيْلَكُمْ!! اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ راعي بنت أبي ذُؤَيْبٍ، فتروح أغنامهم جِيَاعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبنٍ، وتروحُ غَنَمِي شِبَاعاً لُبَناً، فلم نزل نتعرف مِنَ اللهِ الزيادةَ والخيرَ حتى مَضَت سَنَتَاهُ، وفَصَلْتُهُ، وكان يَشِبُّ شَبَاباً لا يَشُبهُ الْغِلْمانُ، فلم يبلُغ سَنَتَيْه حتى كان غُلاَماً جَفْراً[5] قالت: فَقَدِمَنا بِهِ عَلَى أُمِّه، ونَحْنُ أحْرَصُ شيءٍ على مُكْثِه فينا؛ لما كُنَّا نرى من بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أمَّه، وقلت لها: لو تركتِ بُنَيَّ عِنْدي حتى يغلُظَ فإني أخشى عليه وَبَأَ[6] مكةَ، قالت: فلم نَزَلْ بها حتى (٣٠/أ) رَدَّته معنا، قالت: فرجعنا به.

---

(١) الحافل: الممتلئة الضرع من اللبن، الحفل: اجتماع اللبن في الضرع، والمحفلة: التي تجمع لبنها في ضرعها أياماً.

(٢) أربعي علينا: أي أقيمي وانتظري، يقال ربع فلان على فلان، إذا أقام عليه وانتظره. وقال الشاعر: عودي علينا واربعي يا فاطما.

(٣) اللُّبُنُ: الغزيرات اللبن.

(٤) الحاضر: جماعة القوم المجتمعون على الماء.

(٥) جفراً: أي غليظاً شديداً، ومنه الجفر والجفرة من المعز، ويقال هو الصبي ابن أربعة أعوام أو نحوها.

(٦) الوبأ مهموز ومقصور: كثرة الأمراض والموت. =

فوالله إنه ـ بعْدَ مَقْدمنا بأشهرٍ ـ مع أخيه لَفِي بَهْمٍ[1] لنا خلْف بُيوتنا إذْ أَتَانَا أَخُوهُ يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيُّ قد أخذه رَجُلاَنِ عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، فهما يَسُوطانه[2] قالت: فخرجتُ أنا وأَبُوهُ نَحْوَهُ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْهُهُ[3] قالت: فَالْتَزَمْتُهُ والتزَمَه أَبُوهُ، فقلنا له: مَالكَ يَا بُنَيَّ؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بِيضٌ فأَضْجَعَانِي وشَقَّا بَطْني، فالْتَمَسا فيه شيئاً لا أَدْرِي مَا هُوَ، قالت: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا، قَالَتْ: وقال لي أبوه: يا حليمةُ، لقد خشيت أَنْ يَكُونَ هذا الغلام قَدْ أُصِيبَ، فَأَلْحِقيه بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ.

حليمة تخاف فترجع به إلى أمه

قالت: فاحتملناهُ فقدمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ، فقالت: ما أَقْدَمَكِ به يا ظِئْر[4] وقد كُنْتِ حَرِيصَةً عليه وعلى مُكثه عِنْدَكِ؟ قالت: فقلت: نَعَمْ قد بَلَغَ الله بِابني وقَضَيْتُ الَّذِي عليّ[5]، وتخوَّفْتُ الأحدَاثَ عليه، فأدَّيْتُه عليك كما تحبين، قالت: مَا هَذَا شَأْنَكِ فأصدقيني خَبَرَكِ، قالت: فلم تَدَعْني حتى أخبرتها، قالت: أَفَتَخَوَّفْتِ عليهِ الشَّيْطَانَ؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كَلاَّ!! واللهِ ما للشَّيْطَانِ عليهِ مِنْ سَبِيلٍ، وإِنَّ لِبُنَيَّ لَشَأْنا، أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بَلَى، قالت: رأيتُ حِينَ حملتُ به أنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نورٌ أضاء لي به قصورُ بُصْرَى[6] من أرضِ الشَّامِ، ثم حملتُ به، فواللهِ ما رَأيت مِنْ حَمْلٍ قَط كان أخفَّ ولا أيْسَرَ منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يَدَهُ بالأرضِ، رافعٌ رأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، دعيه عنك وانطلقي راشدةً [١٢٠].

---

[١٢٠] إسناده ضعيف مسلسل بالعلل. =

---

(١) البَهْمُ: الصِّغار من الغنم، واحدتها بهمة.

(٢) فهما يسوطانه، يقال: سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته. واسم العود الذي يضرب به المسوط.

(٣) منتقعاً وجهه: أي متغيراً، يقال انتقع وجه الرجل إذا تغير، ويقال: امتقع بالميم أيضاً.

(٤) الظِّئْرُ: أصل الظِّئر الناقة التي تعطف على ولد غيرها فتدر عليه، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئراً بذلك.

(٥) قال السهيلي: «وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين: إحداهما بعد تزوجه خديجة رضي الله عنها، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من الغنم بقرات، والمرة الثانية يوم حنين» اهـ كلامه.

(٦) بُصرى: مدينة من أرض الشام، وتقدم بيانها.

قال ابن إسحاق: وحدثني ثَوْرُ بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانِ الْكَلاَعِيِّ، أن نفراً من أصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسولَ الله، أخبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، قال: «نَعَمْ، أنَا دَعْوَةُ أبِي إبْرَاهِيمَ، وبُشْرَى أخي عيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّام[1]، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْماً لَنَا إِذْ أَتَانِي رَجُلاَنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجاً فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلاَ قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ» قَالَ: «ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ، فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ ـ قَالَ: زِنْهُ بِمَائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ، فَوَزَنْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا» [١٢١].

= جهم بن أبي جهم

قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٥٩) جهم بن أبي جهم عن أبي جعفر بن أبي طالب وعنه ابن إسحاق لا يعرف له قصة حليمة السعدية. وقد صرح بجهالته الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (١٥٣) فقال: مجهول وذكره ابن حبان في «الثقات».

وجهم أيضاً لم يسمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولا رواية لعبد الله بن جعفر عن حليمة والحديث أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٩٣ ـ ٩٧) رقم (٧١٦٣) وابن حبان (٢٠٩٤ ـ موارد) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٦) والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢١٢ ـ ٢١٥) رقم (٥٤٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٧٤ ـ الجزء الخاص بالسيرة) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به.

والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق أيضاً وقال: وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي. اهـ.

قلت: وشهرته لا تعني صحته. والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ١٦٧ ـ ١٧١) وعزاه لإسحاق وأبي يعلى.

[١٢١] إسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٥). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٣٥) والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٤٥ ـ ١٤٦) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وللحديث شواهد من حديث أبي ذر وأبي بن كعب. =

---

(١) قال السهيلي في تأويل هذا النور: «ذلك ما فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره ﷺ؛ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث ببسير نوراً يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب، فقصها على أخيه عمرو بن العاص، فقال: إن زمزم حفيرة عبد المطلب، وإن هذا النور منهم؛ فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام» اهـ كلامه.

الأنبياء جميعًا رعوا الغنم

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ نَبِيّ إِلاَّ وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ»[1] قيلَ: وَأَنْتَ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَأَنَا» [١٢٢].

= ـ حديث أبي ذر
أخرجه الدارمي (١/ ٩) وابن عساكر (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) من طريق عروة بن الزبير عن أبي ذر الغفاري به.
ـ حديث أبي بن كعب
أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٩) وابن عساكر (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) من طريق محمد بن معاذ بن محمد عن أبي بن كعب به وذكره الحافظ الهيثمي في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٦) وقال: ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان.

[١٢٢] ذكره ابن هشام هكذا عن ابن إسحاق دون إسناد لكن الحديث صحيح وقد ورد من حديث أبي هريرة، وجابر.
ـ حديث أبي هريرة
أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩) كتاب الإجارة: باب رعى الغنم على قراريط حديث (٢٢٦٢) وابن ماجه (٢/ ٧٢٧).
ـ حديث جابر
أخرجه البخاري (١٠/ ٧٢١) كتاب الأطعمة: باب الكباث وهو ورق الأراك حديث (٥٤٥٣) ومسلم (٣/ ١٦٢١) كتاب الأشربة: باب فضيلة الأسود من الكباث حديث (١٦٣/ ٢٠٥٠) وأحمد (٣/ ٣٢٦).

---

(١) قال العلماء رضي الله تعالى عنهم: الحكمة في إلهام رعي الغنم قبل النبوة: أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما سيكلَّفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل الحلم والشفقة، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفهاواحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسيرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلِّفوا القيام بذلك من أول وهلة لما تحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها. وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين.
وفي الفتاوى نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعي: أنه يعزر من قال: كان النبي ﷺ راعي غنم. إذا عيِّر برعيها.
ينظر السبل (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

اعتزاز النبي ﷺ بقبيلته وبمن أرضع فيهم

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ لأصحابه: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ؛ أَنَا قُرَشِيٌّ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [١٢٣].

قال ابن إسحاق: وَزَعَمَ النَّاسُ، فيما يتحدثون، واللهُ أَعْلَمُ، أن أمه السَّعْدِيَّةَ لَمَّا قَدِمَتْ بِهِ مَكَّةَ أَضَلَّها فِي النَّاسِ وهي مُقْبِلَةٌ به نحو أهلِهِ؛ فَالْتَمَسَتْهُ، فَلَمْ تَجِدْهُ، فَأَتَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فقَالَتْ لَهُ: إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ بِمُحَمَّدٍ هذِهِ اللَّيْلَةَ، فلما (٣٠/ب) كنتُ بِأَعْلَى مَكَّةَ أَضَلَّنِي، فواللهِ ما أَدْرِي أَيْنَ هُوَ، فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عند الكَعْبَةِ يدْعُو اللهَ أَنْ يَرُدَّهُ، فيزعمون أَنَّهُ وَجَدَهُ وَرَقَةُ بْنُ نوفل بْنِ أَسَدٍ وَرَجُلٌ آخر مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَتَيَا بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فقالا لَهُ: هَذَا ابْنُكَ وجدناه بِأَعْلَى مَكَّةَ؛ فأخذه عَبْدُ المطلب، فجعله على عُنُقِهِ وهو يطوف بالكعبة: يُعَوِّذُه، ويَدْعُو له، ثُمَّ أُرسلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ آمنةَ [١٢٤].

قوم من نصارى الحبشة يحاولون أخذ النبي من حليمة مرضعته

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أَهْلِ العلم، أن مما هاج أُمَّهُ السَّعدِيَّة على رَدِّه إلى أُمِّه ـ مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ـ أَنَّ نَفَراً مِنَ الحبشة نَصَارَى رَأَوْهُ معها حين رَجَعَتْ به بَعْدَ فِطَامِهِ، فَنَظَروا إِلَيه، وَسَأَلُوهَا عَنْهُ، وقلَبوهُ، ثُمَّ قَالُوا لَهَا: لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلام فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى ملكنا وبلدنا؛ فإنَّ هَذَا غُلاَمٌ كائنٌ لَهُ شَأْنٌ، نحنُ نعرفُ أَمْرَهُ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تَنْفَلِتُ به مِنْهُمْ [١٢٥].

---

[١٢٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٧) نقلاً عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩١) أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعربكم أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر.
وإسناده ضعيف جداً، الواقدي أحد المتروكين وله شاهد مرفوع من حديث أبي سعيد الخدري. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٣٥ ـ ٣٦) رقم (٥٤٣٧) من طريق مبشر بن عبيد عن الحجاج بن أرطأة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أعرب العرب ولدتني قريش ونشأت في بني سعد بن بكر فأنى يأتيني اللحن. والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢١) وقال: وفيه مبشر بن عبيد وهو متروك. قلت: وفيه أيضاً عنعنة الحجاج وعطية وهما مدلسان. والحديث ذكره الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ٣٦٤) وقال: سنده ضعيف.

[١٢٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٥) عن ابن عباس مطولاً. وفي إسناده محمد بن زكريا الغلابي وهو متهم بوضع الحديث. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٩٠ ـ ٩١) بنحوه. أخبرنا محمد بن عمر عن أصحابه فذكره والواقدي متروك.

[١٢٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٣٧) عن ابن إسحاق.

وفاة أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أُمِّه آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وجدُّه عبدِ المطلب بن هاشم في كَلاءَة اللهِ وحفظهِ يُنْبتُه اللهُ نَبَاتاً حَسَناً؛ لما يريد به مِنْ كَرَامتِهِ، فلمَّا بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستَّ سنين تُوفِّيت أُمُّهُ آمِنَةُ بنت وَهْبٍ [١٢٦].

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أمَّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمِنَة تُوُفِّيَتْ ورسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن ستِّ سنين بالأبْواءِ بَيْنَ مكَّة والمدينة: كانت قَدْ قَدِمَتْ به على أخواله من بني عَدِيِّ بن النَّجَّار تُزيرُهُ إيَّاهُمْ، فَمَاتَتْ وهي راجعة به إلى مَكَّةَ [١٢٧].

قال ابن هشام: أمُّ عبد المطلب بن هاشم سَلْمَى بنت عمرو النجارية، فهذه الخؤلة الَّتِي ذكر ابنُ إسحاق لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم.

كفالة جده عبد المطلب له ورعايته إياه

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع جَدِّهِ عبد المطلب بن هاشم، وكان يُوضَعُ لعبد المطلب فِرَاشٌ في ظِلِّ الكعبة؛ فكان بَنُوه يَجْلسون حَوْلَ فراشِهِ ذلك حَتَّى يخرج إليه، لا يجلس عليه أَحَدٌ من بنيه إجْلالاً لَهُ، قال: فكان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي وَهُوَ غُلامٌ جَفْرٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فيأخذه أعمَامُهُ ليؤخرُوه عنه، فيقول عبد المطلب إذَا رأى ذَلِكَ منهم: دَعُوا ابْنِي؛ فَوَاللهِ إنَّ لَهُ لَشَأْناً، ثم يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ويَسُرُّه ما يراه يَصْنَعُ [١٢٨].

---

[١٢٦] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٠) عن ابن إسحاق.
وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٣) لابن سعد.

[١٢٧] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٨) من طريق ابن إسحاق. وإسناده ضعيف لإعضاله.
والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٠) من طريق ابن إسحاق به. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٣) من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم به. وله أسانيد أخر عند ابن سعد وفيها محمد بن عمر الواقدي وهو متروك.

[١٢٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١ ـ ٢٢) من طريق ابن إسحاق به. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٣). وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٤ ـ ٩٥).

وَفَاةُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَمَا رُثِيَ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ

فلما بَلَغَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سِنِينَ هَلَكَ عبدُ المطلب بن هاشم، ودلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدثني العبَّاس بنُ عبد الله بن مَعْبَد بن العَبَّاس، عن بَعْضِ أهله، أن عَبْدَ المطلب تُوُفِّيَ ورسولُ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنُ ثماني سنين [١٢٩].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سَعيد بن الْمُسَيّب، أن عبد المطلب لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ؛ جَمَعَ بَنَاتَهُ ـ وكُنَّ ستَّ نسوةٍ: صَفِيَّةَ، وبَرَّة، وعَاتِكة، وأمّ حكيم البَيْضَاءَ، وأُمَيْمَةَ، وأرْوَى ـ فقال لهن: ابْكِينَ عَلَيَّ حتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُلْنَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ [١٣٠].

قال ابن هشام: ولم أر أَحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلاَّ أَنَّهُ لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه (٣١/أ).

صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها [من الوافر]:

أَرِقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ ... عَلَىٰ رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ[١]

فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمُ دُمُوعِي ... عَلَىٰ خَدِّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ[٢]

---

[١٢٩] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ العباس والعباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٩٧) ثقة. والحديث أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» الجزء الخاص بالسيرة (١/ ٦٨) من طريق ابن إسحاق. لكن وقع عنده ابن ست سنين وهو خطأ صوابه كما في السيرة.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٨) من طريق يونس عن ابن إسحاق قال: ومات عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثمان سنين. وينظر «الطبقات الكبرى» (١/ ٩٥) و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٣) و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٠٢ ـ ١٠٤).

[١٣٠] إسناده ضعيف

محمد بن سعيد بن المسيب. قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٦٥) مقبول. قلت: يعني عند المتابعة وإلا فهو لين الحديث كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة التقريب. ثم إنه لم يدرك هذه القصة أصلاً. والأثر أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٨٦) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) الصعيدُ: وجه الأرض، وقارعته: ما ظهر منها ووطئته الأقدام.

(٢) الفَرِيدُ: الخيط المنظوم باللؤلؤ والجمان. والجمان: حَبٌّ يصاغ من الفضة على مثال الجوهر.

عَـلَـىٰ رَجُـلٍ كَـرِيـمٍ غَـيْـرِ وَغْـلٍ ... لَـهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ[1]
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِـيـكِ الْـخَـيْـرِ وَارِثِ كُـلِّ جُـودِ[2]
صَـدُوقٍ فِـي الْـمَـوَاطِنِ غَـيْـرِ نِـكْـسٍ ... وَلاَ شَـخْـتِ الـمـقَـامِ وَلاَ سَـنِـيـدِ[3]
طَـويـلِ الْـبَـاعِ أَرْوَعَ شَـيْـظَـمِـيٍّ ... مُـطَـاعٍ فِـي عَـشِـيـرَتِـهِ حَـمِـيـدِ[4]
رَفِـيـعِ الْـبَـيْـتِ أَبْـلَـجَ ذِي فُـضُـولٍ ... وَغَـيْـثِ الـنَّـاسِ فِـي الـزَّمَـنِ الْـحَـرُودِ[5]
كَـرِيـمِ الْـجَـدِّ لَـيْـسَ بِـذِي وُصُـومٍ ... يَـرُوقُ عَـلَـى الْـمُـسَـوَّدِ وَالْـمَـسُـودِ[6]
عَـظِـيـمِ الْـحِـلْـمِ مِـنْ نَـفَـرٍ كِـرَامٍ ... خَـضَـارِمَـةٍ مَـلاَوِثَـةٍ أُسُـودِ[7]
فَـلَـوْ خَـلَـدَ امْـرُؤٌ لِـقَـدِيـمِ مَـجْـدٍ ... وَلَـكِـنْ لاَ سَـبِـيـلَ إِلَـى الْـخُـلُـودِ
لَـكَـانَ مُـخَـلَّـداً أُخْـرَى الـلَّـيَـالِـي ... لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ التَّلِيدِ[8]

برة بنت عبد المطلب تبكي أباها

وقالت بَرَّة بنت عبد المطلب تبكي أباها [من المتقارب]:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا بِـدَمْـعٍ دُرَرْ ... عَـلَـى طَـيِّـبِ الْـخِـيـمِ وَالْـمُـعْـتَـصَـرْ[9]
عَـلَـىٰ مَـاجِـدِ الْـجَـدِّ وَارِي الـزِّنَـادِ ... جَـمِـيـلِ الْـمُـحَـيَّـا عَـظِـيـمِ الْـخَـطَـرْ[10]
عَـلَـىٰ شَـيْـبَـةِ الْـحَـمْـدِ ذِي الْـمَـكْـرُمَـاتِ ... وَذِي الْـمَـجْـدِ وَالْـعِـزِّ وَالْـمُـفْـتَـخَـرْ

---

(١) الوغل: الفاسد. وقولها: المبين على العبيد: أرادت العباد، فأوقعت العبيد موقعه.
(٢) الفيّاض: الكثير الجود.
(٣) والنكس: الدّني من الرجال. والشَّخْتُ: الحقير الدقيق هنا. والسَّنِيدُ: الذي يسند أموره إلى غيره.
(٤) والأروعُ: الذي يروعك بجماله. والشَّيْظَمِيُّ: الطويل من الفتيان هنا.
(٥) قال الشيخ أبو ذر: ابْلَجُ بالجيم: مشهور، وبالخاء: متكبِّر. والزمن الجرود: بالجيم زمن القحط، لأنه يجرِّد الأرض من النبات، ومن رواه: بالحاء المهملة فمعناه الذي يمتنع قطره، لأن حرد قد تكون بمعنى قطع ومنع. ومنه قولهم: «حاردت الناقة» إذا منعت درّها أي لبنها.
(٦) الوُصومُ: العيوب واحدها وصم.
(٧) الخَضَارِمةُ: الأجواد الذين يكثر عطاؤهم. والملاوثة هنا: جمع ملواث وهو القوي الشديد.
(٨) الحسب التليد: القديم.
وذكر السهيلي البيت الثاني من هذه الأبيات في الروض الأنف (١/ ١٩٥)، وكذا عجز البيت الخامس (١/ ١٩٦).
(٩) عَيْنَيَّ جُودا بدمع درر، أي: سائل. والخيم: الخلق الحسن، ويقال: الأصل. والمُعْتَصَرُ: الأصل.
(١٠) واري الزناد: أي مسعود فيما يحاوله. والخطر: القدر.

وَذِي الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجَرْ[1]

لَهُ فَضْلُ مَجْدٍ عَلَىٰ قَوْمِهِ ... مُنِيرٍ يَلُوحُ كَضَوْءِ الْقَمَرْ

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرْ[2]

عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباها

وقالت عاتكة بنت عبد المُطَّلِب تبكي أباها [من المتقارب]:

أَعَيْنَيَّ جُودَا وَلاَ تَبْخَلاَ ... بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ

أَعَيْنَيَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا ... وَشُوبَا بُكَاءَكُمَا بِالْتِدَامْ[3]

أَعَيْنَيَّ وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا ... عَلَىٰ رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسٍ كَهَامْ[4]

عَلَىٰ الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِيِّ الذِّمَامْ[5]

عَلَىٰ شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزِّنَادِ ... وَذِي مَصْدَقٍ بَعْدُ ثَبْتِ الْمَقَامْ

وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ ... وَمُرْدِي الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامْ[6]

وَسَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَلْقُ الْيَدَيْنِ ... وَفِي عُدْمُلِيٌّ صَمِيمٌ لُهَامْ[7]

تَبَنَّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ ... رَفِيعُ الذُّؤَابَةِ صَعْبُ الْمَرَامْ[8]

---

(١) جمٌّ: كثير. والفجَر: بالجيم العطاء الكثير، وبالخاء المعجمة الفخر.

(٢) فلم تشوه: أي لم تخطه، يقال: رماه فأشواه إذا أخطأه، ورماه فشواه إذا أصاب مقتله.
وذكر السهيلي صدر البيت الأخير في الروض (١/١٩٦) ونسب هذه الأبيات ابن سعد في الطبقات الكبرى إلى أميمة بنت عبد المطلب. ينظر: أنساب الأشراف (١/٨٦)، وينظر: الطبقات الكبرى (١/٩٥).

(٣) اسْحَنْفِرا: أي امتدا في البكاء واجمعا الدمع، واسكبا: أسيلا، وشوبا: اخلطا، والإلْتِدَامُ: ضرب الصدر باليدين عند الحزن.

(٤) استَخْرِطا: أي أسيلا الدمع، واسجُما: أسيلا أيضاً، والكهام: الذي يقصر في أموره، مأخوذ من السيف الكهام وهو الذي لا يقطع.

(٥) الجَحْفَل: الكثير العطاء، والغمر كذلك.

(٦) الصَّمصامة: السيف القاطع، والمردى: الرجل الذي يفوز على صاحبه عند الخصام.

(٧) عُدْمُلِيٌّ: شديدٌ، وصَميم: خالص، ولهام: شديد أيضاً.

(٨) تَبَنَّك: أي تأصل وتأثل، والباذخ: المشرف العالي.
وذكر السهيلي صدر البيت الأخير من هذه الأبيات في الروض الأنف (١/١٩٨). وينظر: أنساب الأشراف (١/٨٥).

أم حكيم البيضاء تبكي أباها

وقالت أم حَكِيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها [من الوافر]:

أَلاَ يَا عَيْنُ، جُودِي وَٱسْتَهِلِّي ... وَبَكِّي ذَا النَّدَىٰ وَالْمَكْرُمَاتِ[1]

أَلاَ يَا عَيْنُ، وَيْحَكِ، أَسْعِفِينِي ... بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلاَتِ

وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... أَبَاكِ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ[2]

طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي ... كَرِيمَ الْخِيمِ مَحْمُودَ الْهِبَاتِ

وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هِبْرِزِيًّا ... وَغَيْثاً فِي السِّنِينَ الْمُمْحِلاَتِ[3]

وَلَيْثاً حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي ... تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاظِرَاتِ[4]

عَقِيلُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرَجَّىٰ ... إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهَنَاتِ[5]

وَمَفْزَعُهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ ... بِدَاهِيَةٍ وَخَصْمُ الْمُعْضِلاَتِ[6]

فَبَكِّيهِ وَلاَ تَسَمِي بِحُزْنٍ ... وَبَكِّي مَا بَقِيتِ الْبَاكِيَاتِ[7]

أميمة تبكي أباها عبد المطلب

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها [من الطويل]:

أَلاَ هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ ... وَسَاقِي الْحَجِيجِ وَالْمُحَامِي عَنِ الْمَجْدِ[8]

وَمَنْ يُؤْلِفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بُيُوتَهُ ... إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخَلُ بِالرَّغْدِ

كَسَبْتَ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَىٰ ... فَلَمْ تَنْفَكِكْ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ

أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ[9] خَلَّىٰ مَكَانَهُ ... فَلاَ تَبْعَدَنْ فَكُلُّ حَيٍّ إِلَىٰ بُعْدِ

---

(١) اسْتَهِلِّي: أي أظهري البكاء. يقال: استهلَّ الدمع إذا سال وظهر.

(٢) والتيار: معظم الماء، والفرات: الماء العذب، والفرات أيضاً: نهر بعينه.

(٣) الهِبْرِزِيُّ: الحاذق في أموره.

(٤) تَشْتَجِرُ العوالي: أي تختلط الرماح في الحرب، والعوالي: أعالي الرماح.

(٥) الهنات: جمع هنة، وهي كناية عن القبيح.

(٦) مفزعها: ملجؤها، والمعضلات: الأمور الشداد التي لا يعلم كيف التخلص منها.

(٧) ولا تَسَمِي: أرادت ولا تسمي فنقلت حركة الهمزة وحذفتها، وينظر: أنساب الأشراف (١/ ٨٥).

(٨) الراعي العشيرة، معناه: الحافظ لعشيرته، والحجيج: أسم لجماعة الحجاج.

(٩) الفياض: الكثير العطاء.

فَإِنِّي لَبَاكٍ، مَا بَقِيتُ، وَمُوجَعٌ[1] ... وَكَانَ لَهُ أَهْلاً لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِي
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمْطِراً ... فَسَوْفَ أُبَكِّيهِ وَإِنْ كَانَ فِي اللَّحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْناً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُمَا كَانَ مِنْ حَمْدِ[2]

أروى تبكي أباها عبد المطلب

وقالت أرْوَى بنت عبد المطلب تبكي أباها (٣١/ب) [من الوافر]:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ ... عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ[3]
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيٍّ ... كَرِيمِ الْخِيمِ نِيَّتُهُ الْعَلاَءُ[4]
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[5]
طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِيٍّ ... أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
أَقَبِّ الْكَشْحِ أَرْوَعَ ذِي فُضُولٍ ... لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ[6]
أَبِيِّ الضَّيْمِ أَبْلَجَ هِبْرِزِيٍّ ... قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ[7]
وَمَعْقِلُ مَالِكٍ وَرَبِيعُ فِهْرٍ ... وَفَاصِلُهَا إِذَا الْتَمِسَ الْقَضَاءُ
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَماً وَجُوداً ... وَبَأْساً حِينَ تَنْسَكِبُ الدِّمَاءُ[8]
إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى ... كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ[9]

---

(١) فإني لباك ما بقيت وموجع: أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على معنى الشخص، كما قال [من السريع]:

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ ... مَنْ لِي بِمَنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ ... قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

أي: شخصاً ذا غُربة.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف (١/ ٨٦).

(٣) السَّجِيَّة: الطبيعة.

(٤) أبطحيّ: منسوب إلى بطحاء مكة، وهو الموضع السهل منها.

(٥) كفاء: أي مثل.

(٦) الأَقَبُّ: الضامر، والكشح: الخصر، والسناء: الرفعة والشرف.

(٧) والضَّيْمُ: الذل. وأبلج وهِبْرزيّ قد تقدم تفسيرها.

(٨) تنسكب الدماء: أي تسيل.

(٩) الكماة: الشجعان واحدهم كميٌّ.

مَـضَـىٰ قُـدُمـاً بِـذِي رُبَـدٍ خَـشِـيـبٍ عَـلَـيْـهِ، حِـيـنَ تُـبْـصِـرُهُ، الْـبَـهَـاءُ[1]

قال ابن إسحاق: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيّب أنه أشار برأسه وقد أُصْمِتَ: أنْ هَكَذَا فابكيني.

نسب المسيب بن حزن

قال ابن هشام: المسيب: ابن حزن بن أبي وَهْب بن عَمْرو بن عائذ بن عِمْرَان بن مَخْزوم.

حذيفة بن غالب يبكي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِم، أخو بني عَدِيِّ بن كَعْب بن لُؤَي، يَبْكِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ هَاشِم بن عَبْدِ مناف، ويذكر فضْله، وفضل قُصَيّ على قريش، وفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عليهم، وذلك أنَّهُ أُخِذَ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فَوَقَفَ بِهَا، فَمَرَّ بِهِ أبو لَهَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بن عبد المطلب فافْتَكَّهُ [من الطويل]:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا بِـالـدُّمُـوعِ عَـلَـى الـصَّـدْرِ وَلاَ تَـسْـأَمَـا أُسْـقِـيـتُـمَـا سَـبَـلَ الْـقَـطْـرِ[2]

وَجُـودَا بِـدَمْـعٍ وَاسْـفَـحَـا كُـلَّ شَـارِقٍ بُـكَـاءَ امْـرِىءٍ لَـمْ يُـشْـوِهِ نَـائِـبُ الـدَّهْـرِ[3]

عَـلَـىٰ رَجُـلٍ جَـلْـدِ الْـقُـوَىٰ ذِي حَـفِـيـظَـةٍ جَـمِـيـلِ الْـمُـحَـيَّـا غَـيْـرِ نِـكْـسٍ وَلاَ هَـذْرِ[4]

عَـلَـى الْـمَـاجِـدِ الْـبُـهْـلُـولِ ذِي الْـبَـاعِ وَاللُّـهَـا رَبِـيـعِ لُـؤَيٍّ فِـي الْـقُـحُـوطِ وَفِـي الْـعُـسْـرِ[5]

عَـلَـىٰ خَـيْـرِ حَـافٍ مِـنْ مَـعَـدٍّ وَنَـاعِـلٍ كَـرِيـمِ الْـمَـسَـاعِـي طَـيِّـبِ الْـخِـيـمِ وَالـنَّـجْـرِ[6]

وَخَـيْـرِهِـمُ أَصْـلاً وَفَـرْعـاً وَمَـعْـدِنـاً وَأَحْـظَـاهُـمُ بِـالْـمَـكْـرُمَـاتِ وَبِـالـذِّكْـرِ

وَأَوْلاَهُـمُ بِـالْـمَـجْـدِ وَالْـحِـلْـمِ وَالـنُّـهَـىٰ وَبِـالْـفَـضْـلِ عِـنْـدَ الْـمُـجْـحِـفَـاتِ مِـنَ الْـغُـبْـرِ[7]

---

(١) بذي ربد خشيب، تعني: سيفاً، والربد: الطرائق في السيف. والخشيب: الصقيل هنا، والبهاء: هو حسن الهيئة وعظمها، ومن رواه: الهباء: فهو ما يظهر على السيف المجوهر شبيهاً بالغبار. وينظر: أنساب الأشراف (١/٨٦).

(٢) السَّبل: المطر.

(٣) كل شارق: أي عند طلوع الشمس كل يوم، ولم يشوه: أي لم يخطئه، وفي بعض النسخ زيادة بيت بعد هذا، وهو قوله: ـ

وَسُحَّا وَجُمَّا وَاسْجُمَا مَا بَقِيتُما عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِي سِتْرِ

(٤) الحفيظة: الغضب مع عزة، والهذر: الكلام الكثير، في غير فائدة.

(٥) الماجد: الشريف، والبهلول: السيد، واللها: العطايا، ومن رواه: النهي بالنون، فهي العقول واحدتها نهية.

(٦) النَّجر: الأصل، أو الطبع.

(٧) المُجْحِفَات: التي تذهب بالأموال، والغُبْرُ: السنون المقحطات.

عَلَىٰ شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ ... يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ

وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ ذٰلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْرِي[1]

طَوَىٰ زَمْزَماً عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ ... سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَىٰ كُلِّ ذِي فَخْرِ

لِيَبْكِ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ ... وَآلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفْرِ[2]

بَنُوهُ سَرَاةٌ كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ ... تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّقْرِ

قُصَيٌّ الَّذِي عَادَىٰ كِنَانَةَ كُلَّهَا ... وَرَابَطَ بَيْتَ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ الْمَنَايَا وَصَرْفُهَا ... فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ وَالأَمْرِ[3]

وَأَبْقَىٰ رِجَالاً سَادَةً غَيْرَ عُزَّلٍ ... مَصَالِيتَ أَمْثَالَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ[4]

أَبُو عُتْبَةَ الْمُلْقَى إِلَيَّ حِبَاءَهُ ... أَغَرُّ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرٍ غُرِّ[5]

وَحَمْزَةُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَىٰ ... نَقِيُّ الثِّيَابِ وَالذِّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ

وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيظَةٍ ... وَصُولٌ لِذِي الْقُرْبَىٰ رَحِيمٌ بِذِي الصِّهْرِ

كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ الْمُلُوكِ لاَ تَبُورُ وَلاَ تَخْرِي[6]

مَتَىٰ مَا تُلاَقِي مِنْهُمُ الدَّهْرَ نَاشِئاً ... تَجِدْهُ بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِهِ يَجْرِي[7]

هُمُ مَلَئُوا الْبَطْحَاءَ مَجْداً وَعِزَّةً ... إِذَا اسْتُبِقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ

وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلاَ وَعِمَارَةٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْرِ

بِنِكَاحِ عَوْفٍ بِنْتَهُ لِيُجِيرَنَا ... مِنَ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمَتْنَا بَنُو فِهْرٍ (٣٢/أ)

فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلاَدِ وَنَجْدَهَا ... بِأَمْنِهِ حَتَّىٰ خَاضَتِ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ[8]

وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيقُهُمْ ... وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ شُيُوخُ بَنِي عَمْرِو

بَنَوْهَا دِيَاراً جَمَّةً وَطَوَوْا بِهَا ... بِئَاراً تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ[9]

---

(١) الفهري: منسوب إلى فهر وروي: القَهْرُ، أي الذي يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل ورجل صوم فطر.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) غالته: أي ذهبت به وأهلكته، والنقيبة: النفس. ويقال أيضاً: فلان ميمون.. النقيبة، إذا كان يسعد فيما يتوجه له.

(٤) عُزّل: ضعاف لا سلاح معهم، ومصاليت: شجعان، والرُّدينيّة: الرماح.

(٥) والحِبَاء: العطاء، وهجان اللون: أي أبيض.

(٦) لا تبور: أي لا تهلك، ولا تحري: أي لا تنقص.

(٧) الناشي: الصغير. وَالإِجْرِيَّا: ما يجري عليه من أفعال آبائه ويتعوّده.

(٨) تهامي البلاد: ما انخفض منها، ونجدها: ما علا منها، والعير: الإبل.

(٩) ثبج الشيء: أعلاه ومعظمه.

لِكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْرُهُمْ ... إِذَا أَبْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّحْرِ

ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ ... مُخَيَّسَةً بَيْنَ الأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ[1]

وَقِدْماً غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً ... وَلاَ نَسْتَقِي إِلاَّ بِخُمَّ أَوِ الْحَفْرِ[2]

وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ دُونَهُ ... وَيَعْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ[3]

وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الأَحَابِيشِ كُلَّهَا ... وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِي بَكْرِ[4]

فَخَارِجَ[5]، إِمَّا أَهْلِكَنَّ فَلاَ تَزَلْ ... لَهُمْ شَاكِراً حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ

وَلاَ تَنْسَ مَا أَسْدَى[6] أَبُنُ لُبَيْنَى فَإِنَّهُ ... قَدَ أَسْدَىٰ يَداً مَخْقُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ

وَأَنْتَ أَبْنَ لُبْنَىٰ مِنْ قُصَيٍّ إِذَا أَنْتَمَوْا ... بِحَيْثُ أَنْتَهَىٰ قَصْدُ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ

وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلاَ فَجَمَعْتَهَا ... إِلَىٰ مَخْتِدٍ لِلْمَجْدِ ذِي ثَبَجٍ جَسْرِ[7]

سَبَقْتَ وَفُتَّ الْقَوْمَ بَذْلاً وَنَائِلاً ... وَسُدْتَ وَلِيداً كُلَّ ذِي سُؤْدَدٍ غَمْرِ[8]

وَأُمُّكَ سِرٌّ[9] مِنْ خُزَاعَةَ جَوْهَرٌ ... إِذَا حَصَّلَ الأَنْسَابَ يَوْماً ذَوُو الْخُبْرِ

إِلَى سَبَإِ الأَبْطَالِ تُنْمَىٰ وَتَنْتَمِي ... فَأَكْرِمْ بِهَا مَنْسُوبَةً فِي ذُرَا[10] الزُّهْرِ

أَبُو شَمِرٍ مِنْهُمْ وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ... وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ[11]

وَأَسْعَدُ[12] قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... يُؤَيَّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

---

(١) مخيَّسة: أي مذللة، ويروى: محبَّسة وهو معلوم، والأخاشب: جبال بـ «مكة»، وهما جبلان فجمعهما مع ما يليهما.

(٢) خُمّ: اسم بئر، والحفر: اسم بئر أيضاً، تقدما.

(٣) الهُجْرُ: القبيح من الكلام الفاحش.

(٤) والأحابيش: من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عهدها وذمتها، ونكلوا صرفوا وزجروا.

(٥) فخارج: أراد يا خارجة، فحذف حرف النداء ورخم.

(٦) أسدى: أعطى.

(٧) المخْتِد: الأصل، وجسر: ماض في أموره قوي عليها، والجسر أيضاً، والجسر بفتح الجيم وكسرها: السد الذي يكون في الماء كالقنطرة يجاز عليها.

(٨) غمر: كثير العطاء.

(٩) وأُمُّكَ سرٌ: أي خالصة النسب.

(١٠) الذرى: الأعالي.

(١١) أبو شمر وعمرو وذو جدن وأبو الجبر وأسعد: كلهم من ملوك اليمن.

(١٢) أسعد: كان أعظمهم. وذكر السهيلي بعض ألفاظ هذه القصيدة في الروض. ينظر: الروض الأنف (١/ ١٩٩) وما بعدها. وكذا ذكر البلاذري بعض أبياتها في أنساب الأشراف. ينظر: أنساب الأشرف (١/ ٦٦).

قال ابن هشام: قوله «أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خُزَاعَةَ» يعني أبا لهب: أمه لُبْنَى بِنْتُ هَاجَرِ الخُزَاعِيِّ، وقوله «بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِه» عن غير ابن إسحاق.

مطرود الخزاعي يرثي عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف [من الكامل]:

يَـأَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ الْـمُـحَـوِّلُ رَحْـلَـهُ ... هَـلاَّ سَـأَلْـتَ عَـنِ الِ عَـبْـدِ مَـنَـافِ

هَـبَـلَـتْـكَ أُمُّـكَ لَـوْ حَـلَـلْـتَ بِـدَارِهِـمْ ... ضَـمِـنُـوكَ مِـنْ جُـزْمٍ وَمِـنْ إِقْـرَافِ[1]

الْـمُـنْـعِـمِـيـنَ إِذَا الـنُّـجُـومُ تَـغَـيَّـرَتْ ... وَالـظَّـاعِـنِـيـنَ[2] لِـرِحْـلَـةِ الإِيـلاَفِ

وَالْـمُـطْـعِـمِـيـنَ إِذَا الـرِّيَـاحُ تَـنَـاوَحَـتْ ... حَـتَّـىٰ تَـغِـيـبَ الـشَّـمْـسُ فِـي الـرَّجَّـافِ[3]

إِمَّا هَـلَـكْـتَ أَبَـا الْـفِـعَـالِ، فَـمَـا جَـرَىٰ ... مِـنْ فَـوْقِ مِـثْـلِـكَ عَـقْـدُ ذَاتِ نِـطَـافِ[4]

إِلاَّ بِـيـكَ أَخِـي الْـمَـكَـارِمِ وَحْـدَهُ ... وَالْـفَـيْـضِ مُـطَّـلِـبٍ أَبِـي الأَضْـيَـافِ[5]

فَلَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بن هاشم وَلِيَ زَمْزَمَ والسِّقَايَةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ العبَّاسُ بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ مِنْ أَحْدَثِ إخوته سِنًّا، فلم تَزَلْ إليه حتى قَامَ الإِسْلاَمُ وهي بيده، فأقرَّها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ وِلاَيَتِهِ؛ فهي إلى آلِ العَبَّاسِ بولاية العَبَّاس إِيَّاهَا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ.

النبي ﷺ في كفالة عمه أبي طالب

وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وكَانَ عَبْدُ المطلب ـ فيما يزعمون ـ يُوصِي به عمه أَبَا طَالِبٍ، وذلك لأَنَّ عَبْدَ اللهِ أَبَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بن عِمْرانَ بن مَخْزُومٍ.

قال ابن هشام: عَائِذٌ: ابن عمرانَ بْنِ مَخْزُومٍ.

---

(١) هَبَلَتْكَ: أي فقدتك وهو على جهة الإغراء، لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك، ولا أبا لك وأشباهها. والإقْرافُ: مقارفة الهجنة والدناءة.

(٢) الظاعنين: يعني الراحلين.

(٣) تناوح الجبلان: إذا تقابلا، والرَّجَّاف هنا: البحر، وتناوحت؛ أي: تقابلت.

(٤) من روى: عقد ذات نطاف، بكسر العين، فالنطاف جمع نُطفة، وهي القرط الذي يعلق من الأذن. ومن رواه: عقد، بفتح العين فالنَّطاف جمع نُطْفَة من الماء، وهو القليل الصافي منه.

(٥) «أبي الأضياف» يريد أنه كالأب لهم، والعرب تقول لكل جواد «أبو الأضياف».

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَبُو طالبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ جَدِّهِ؛ فكَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ [١٣١].

قال (٣٢/ ب) ابن إسحاق: وحدثني يَحْيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر، أن أباه حدثه، أن رَجُلاً من لَهَبٍ (قال ابن هشام: ولَهَبٌ من أزْد شنوءة) كَانَ عَائِفاً[1] فكان إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بغلمانِهِمْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَعْتَافُ لهم فيهم، قال: فَأَتَى بِهِ أَبُو طَالِبٍ ـ وهو غلام ـ مَعَ مَنْ يأتيه؛ فَنَظر إِلَى رَسولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم شَغَله عنه شيءٌ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: الْغُلاَمَ، عَلَيَّ به، فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ حِرْصَهُ عليه غَيَّبه عنه، فجعل يقول: وَيْلَكُمْ!! ردُّوا عليَّ الغلام الَّذِي رأيتُ آنِفاً، فواللهِ ليكونَنَّ له شَأْنٌ، قال: فانطلق أبو طالب [١٣٢].

قِصَّةُ بَحِيرَىٰ

النبي يتعلق بعمه أبي طالب ليأخذه معه إلى الشام

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ أَبَا طالبٍ خَرَجَ في رَكْب تاجِراً إلى الشَّام، فلما تهيأ للرحيل وأجمعَ المسيرَ صَبَّ[2] به رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يزعمون، فَرَقَّ لَهُ، وقال: والله لأَخْرُجَنَّ به معي، ولا يُفَارِقُنِي ولا أُفَارِقُهُ أَبداً، أو كما قال، فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فلما نَزَلَ الركبُ بُصْرَى من أرضِ الشَّامِ، وبها رَاهِبٌ يقال له بَحِيرَى في صومعةٍ لهُ، وكانَ إليه علمُ أهلِ النصرانيةِ، ولم يزلْ في تِلْكَ الصَّوْمعة منذ قط راهبٌ إليه يصير علمهم عن كِتَابٍ فيها، فيما يزعمونَ، يتوارثُونَهُ كَابِراً عن كَابِرٍ، فَلَمَّا نزلوا ذَلِكَ العَام بِبَحِيرَى، وكانوا كثيراً ما يمرُّون به قبلَ ذلك فلا يكلمهم ولا يعرضُ لهم، حتى كَانَ ذَلِكَ العامُ؛ فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَعَ لهم طَعَاماً كَثِيراً، وذلكَ ـ فيما يزعمونَ ـ عن شيء رآه وهو في صَوْمَعته: يزعمون أنه رَأَى رسولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في صومعته في الرَّكْبِ حين أَقْبَلُوا وغمامَةٌ تُظِلُّه مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، قال: ثُمَّ أَقْبَلُوا فنزلوا في ظل شَجَرَةٍ قريباً مِنْهُ، فَنَظَر إِلَى الغمامة حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ وتهصَّرتْ[3] أغصانُ الشجرة عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله

---

[١٣١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٤) من طريق ابن إسحاق.

[١٣٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) عن ابن إسحاق.

---

(١) العائف هنا: الذي يتفرَّس في خلقة الإنسان، فيخبر بما تؤول حاله إليه.

(٢) صب به رسول الله ﷺ: أي مال إليه. ورق قلبه له، ومن رواه: ضبَّ، فمعناه: تعلَّق به وامتسك.

(٣) تهصَّرت أغصان الشجرة: أي مالت وتدلت، تقول هصرت الغصن، إذا جذبته إليك حتى يميل.